المجلة الجزائرية للسياسة والأمن
ISSN: 2800-1095
المجلد: 01 – العدد: 01، جانفي 2022 / ص.ص37-61

المقاربات النفسية المفسرة للسلوك العدواني في التظاهرات

Approaches Psychological that Explain Aggressive behavior in Demonstrations

تهاني هاشم خليل عابدين [1]*
[1]أستاذ مساعد بقسم علم النفس جامعة الخرطوم، (السودان)، البريد الإلكتروني:
abdeentahani@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/05. - تاريخ القبول: 2022/01/10 - تاريخ النشر: 2022/01/25

المستخلص:
هدف هذا البحث إلى تفسير السلوك العدواني في التظاهرات من خلال تحديد أسبابه ووصف الطريقة التي تتفاعل بها تلك الأسباب. استخدم المنهج التحليلي للإجابة عن أسئلة البحث وتحقيق أهدافه. تم التوصل إلى أن الأسباب التي تعزز السلوك العدواني للمتظاهرين تنقسم إلى ثلاث مستويات؛ تتمثل في الأسباب على المستوى الذاتي مثل قلة الوعي وعدم القدرة على ضبط الانفعالات، والأسباب على المستوى الاجتماعي مثل تأثير الإيحاء غير الأخلاقي والعدوى الاجتماعية المحفزة للعدوان، إضافة إلى الأسباب التي تتبع للمستوى الموقفي والتي تجتمع في سيكولوجية الجماهير، كما توصل البحث إلى أن هناك أسباب أخرى نفسية وراء السلوك العدواني للمتظاهرين ترجع إلى الدوافع النفسية المعقدة التي تشكلت لدى المتظاهر عبر تاريخ حياته، وأكدت النتائج أنه كلما زاد عدد الأفراد المشاركين في التظاهر كلما زاد احتمال ظهور السلوك العدواني للمتظاهرين، وتحقيقاً للأهداف النهائية للبحث يأتي اقتراح إجراء بحوث علمية تفسر السوك العدواني في التظاهرات انطلاقاً من وجهة نظر المتظاهرين أنفسهم؛ فالنتائج التي تم التوصل إليها في هذا البحث تتحدد بالحدود الفكرية لعلماء النفس.

الكلمات المفتاحية: التظاهرات، الثورات، السلوك العدواني، علم النفس السياسي، الأمن المجتمعي.

* **تهاني هاشم خليل عابدين.**

Abstract:
The aim of this research is to explain aggressive behavior in demonstrations by identifying its causes and describing the way in which those causes interact. Use the analytical method to answer the research questions and achieve its objectives. It was concluded that the reasons that reinforce the aggressive behavior of the demonstrators are divided into three levels, it is represented in the reasons on the subjective level, such as lack of awareness and the inability to control emotions, and causes on the social level, such as the effect of immoral suggestion and social infection motivating aggression, in addition to the reasons that follow the situational level and which combine in the demonstrator being affected by the demonstration position represented by the psychology of the masses, and the research found that there are other psychological reasons behind the aggressive behavior of the demonstrators due to the complex psychological motives that formed in the protester as a result of unlimited influences that extend throughout his life history, and the results confirmed that the greater the number of individuals participating in the demonstration, the greater the likelihood of aggressive behavior for the demonstrators, and in order to achieve the final objectives of the research comes the proposal to conduct scientific research that explains the phenomenon of aggressive behavior in the demonstrations from the point of view of the demonstrators themselves to complete the knowledge necessary to explain the aggressive behavior of the demonstrators in a more profound way; The results that have been reached in this research are determined by the intellectual limits of psychologists.

Keywords: demonstrations; revolution; aggressive behavior; political psychology; societal security.

مقدمة:

تمهيد:

أصبح التظاهر سائداً في الواقع الفعلي للمجتمع المعاصر كنتيجة حتمية لظهور فئة اجتماعية جديدة أقل استلاباً، وقد أصبح هذا الجيل مدركاً لحقوقه وتوَّاقاً إلى التمتُّع بها في مجتمعة المحلي، كما يتصف بأنه أكثر ميلاً إلى النضال من أجل تحقيق الديمقراطية والتي تدل في الأصل على "حكم الشعب" أو "سُلطة الشعب"، وثمة تعريف شائع لها بأنها حكم الشعب بالشعب وللشعب، وبذلك أصبح التظاهر من وجهة نظر المتظاهرين هو الأداة الوحيدة الرابحة لاسترداد الحقوق المعنوية والمادية، وهكذا فإن التظاهر السلمي بات مظهراً من مظاهر الاحتجاج المدني المعاصر للضغط على الحكومات والجهات الرسمية ذات الصلة بغية تلبية مطالب المتظاهرين؛ إلا أن التظاهرات في نسختها المعاصرة لها انعكاسات سلبية بالغة على الأمن المجتمعي على مستوى العالم؛ فبالرغم من انطلاقها من "منطلق السلمية" إلا أنها تعتبر بيئة محفزة للعنف والسلوك العدواني.

يكتسب السلوك العدواني أهمية خاصة بسبب دلالاته الاجتماعية، وهو جزء لا يتجزأ من ظروف الحياة الإنسانية، ومع التحضر بدأ الناس يشعرون أن العالم أصبح أقل أمناً مما كان عليه، كما تزداد خطورة ازدياد معدلات العنف والعدوان التي تثبتها الدراسات العابرة للثقافات يوماً بعد يوم[1]، وترجع خطورة السلوك العدواني إلى أنه سلوك يؤدي الى صدام مع الآخرين ولا يعترف برغباتهم وحقوقهم[2]. وفي العادة ترتبط التظاهرات بظهور وانتشار السلوك العدواني والتخريبي؛ حيث تمثل بيئة معززة لذلك السلوك نتيجة انتفاء مبدأ "المسئولية الفردية" الذي من خلاله تتم محاسبة الفرد على سلوكياته بشكل

[1] . فجر جودة النعيمي، علم النفس الاجتماعي دراسة خفايا الإنسان وقوى المجتمع، (بغداد: دار . أوما للنشر والتوزيع، ط. 1، 2016)، ص.236.

[2] . محمد علي الهمشري، عدوان الأطفال، (الرياض: العبيكان، ط. 2، 2000)، ص.11.

شخصي؛ فبالرغم من الشعار السلمي الذي تتحرك به تلك التظاهرات إلا أنها لن تخلو من بعض مظاهر التخريب والتعدِّي.

تعمل الأهداف النهائية لعلم النفس على فهم كل ما يرتبط بالنشاط البشري ومحاولة توضيح كل السبل التي تجعله متوافقاً مع محيطه النفسي والاجتماعي والطبيعي؛ حيث تتدرج أهداف علم النفس لتبدأ بفهم السلوك وتفسيره ثم التنبؤ بما سيكون عليه السلوك ثم ضبط السلوك والتحكم فيه[3]، ووفقاً لهذا التدرج البديهي لأهداف علم النفس انطلق هذا البحث لتحقيق هدفه المحوري الذي يتمثل في "تفسير السلوك العدواني في التظاهرات" للكشف عن الأسس السيكولوجية للسلوك العدواني للمتظاهرين وتبيين ديناميكية تطوره؛ كأولوية أولى تتيح التنبؤ به ومن ثم ضبطه والتحكم فيه لضمان ممارسة سياسية وحقوقية آمنة.

مشكلة البحث:

يوصف التظاهر بأنه حق فردي يتم التعبير عنه دائماً بطريقة جماعية، ولا بد من تحقيق التوازن بين حق المواطن في التظاهر وبين عدم انتهاك حقوق المواطن غير المتظاهر؛ فكل حق يقابله التزام، وبذلك لا بد أن يقابل الحق في التعبير عن الرأي بالتظاهر التزام بحفظ حقوق الآخرين؛ إلا أن الواقع المعاش والتجارب السابقة للتظاهر قد أثبتت أن التظاهرات دائماً ما تقترن بالتوترات والعنف والسلوك العدواني مهما كانت سلميتها؛ حيث يتصف التظاهر بالتداخل المؤقت مع الأنشطة اليومية الروتينية لغير المتظاهرين أو قد يعطلها بشكل كامل، كما قد يمنعهم من بعض حقوقهم؛ كالحق في الحياة وحق الأمن وحق حرية التنقل، فضلاً عن شيوع السلوكيات العدوانية في التظاهرات؛ كالمناقشات التي تأخذ شكلاً عدوانياً وتخريب الممتلكات العامة والعدوان

[3] . عبد الباقي دفع الله أحمد، علم النفس أسسه مبادؤه نظرياته، (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، ط.2 ،2011)، ص. 99.

المسلح وعنف العصابات وتتطور إلى مستوى تنفيذ الأجندة الإرهابية للجماعات المتطرفة، إضافة إلى بعض السلوكيات العدوانية التي تحدث في شكل استجابات عفوية عاجلة للأحداث أو الخطابات أو أي نشاط آخر فيصعب التنبؤ بها من قبل السلطات، وفي الواقع تتباين ردود الفعل التي تتعامل من خلالها الجهات الأمنية مع المهددات المترتبة على السلوك العدواني في التظاهرات؛ فهي غالباً ما تستند إلى الخبرة المكتسبة من التعامل مع التظاهرات السابقة؛ لعدم توفر معلومات علمية تفسر هذه الظاهرة السلوكية - السلوك العدواني في التظاهرات - ذات الخطورة المتزايدة، وكل هذا يحول دون حلها جذرياً بمعالجة أسبابها لا أعراضها، واستشهاداً بالمعطيات المشار إليها تتمثل مشكلة هذا البحث في إيجاد إجابات علمية عن الأسئلة التالية:

1. ما الأسباب التي تؤدي إلى السلوك العدواني في التظاهرات وفقاً للفكر النفسي؟.
2. كيف يمكن وصف الديناميكية السيكولوجية التي ينشأ بها السلوك العدواني في التظاهرات؟.

أهمية البحث:

1. أهمية تشخيص الأسباب التي تعزز ممارسة السلوك العدواني في التظاهرات للحد منه؛ حيث يعمل السلوك العدواني المتزامن مع التظاهر والناتج عنه كمهدد للأمن المجتمعي؛ بدرجة تحتم على الجهات الأمنية التعامل معه من منطلقات علمية بعيداً عن القرارات الارتجالية.
2. تتأكد أهمية البحث في مجال سيكولوجية التظاهر من الارتباط الوثيق للتظاهرات بتفاصيل حياة البشر في القرن الحادي والعشرين؛ حيث يتأثر حاضرهم ومستقبلهم بالانعكاسات والنتائج النهائية لتلك التظاهرات.

3. توظيف البحوث النفسية للتوصل إلى مستوى الممارسة السياسية والحقوقية الآمنة؛ باقتراح البدائل التي تضمن إنهاء مخاطر الممارسات غير الأخلاقية التي تتصف بها التظاهرات التقليدية.
4. استثمار علم النفس في تحقيق الوعي السياسي للمتظاهرين من خلال تنمية الوعي النفسي؛ حتى يتمكن المتظاهرين من ضبط سلوكهم أثناء التظاهر، كي لا يكونوا - بسبب عدم الوعي - ضحية لتنفيذ مخططات وأطماع آخرين يستخدمونهم كأدوات لتحقيق أهدافهم الخاصة.

أهداف البحث:

1. تسمية الأسباب المعززة للسلوك العدواني في التظاهرات وفقاً للفكر النفسي.
2. تحليل الديناميكية السيكولوجية التي ينشأ بها السلوك العدواني في التظاهرات.

مصطلحات البحث:

1. **السلوك:** هو النشاط الذي يصدر عن الفرد نتيجة تفاعله مع البيئة (الذاتية، الخارجية) و الاستجابات التي يقوم بها كرد فعل للمؤثرات والمثيرات التي يتعرض لها[4].
2. **السلوك العدواني:** يقصد به أي سلوك من شأنه إيقاع الأذى الجسدي أو النفسي أو الألم بالذات أو بالآخرين أو بالأشياء.
3. **التظاهرات:** يأتي التظاهر بمعنى التعاون، واستظهر به أي استعان به[5]، وهو إعلان رأي أو إظهار عاطفة في صورة جماعية[6]، والتظاهرات من الناحية

[4] . تهاني هاشم خليل عابدين، أبعاد التهيئة النفسية المعززة لممارسة السلوك الإرهابي، في: قضايا التطرف والجماعات المسلحة، العدد 6، نوفمبر 2021، ألمانيا، ص.75.

[5] . مختار الصحاح (ص. 197).

[6] . المعجم الوسيط (ص. 578).

الإجرائية عبارة عن تجمهر مجموعة بشرية في مكان عام للتعبير عن مواقفهم أو المطالبة بحقوقهم عبر الهتاف والشعارات وعرض اللافتات.

منهج البحث:

استخدم "المنهج التحليلي" لإجراء البحث، حيث يستخدم هذا المنهج في البحث العلمي باعتبار أن عملية التحليل تمثل مرحلة أساسية لبناء إطار تحليلي ملائم للظاهرة المبحوثة، وفي دراسة الأوضاع الاجتماعية والسياسية يتم تحليل الأفكار والتمييز بينها بما يسمى بالتحليل النظري المجرد، لأنه يسمح بإظهار وتبيان الخصائص الأساسية التي تكمن في المعنى والسبب الذي يفسر ما ندرسه؛ فالتحليل طريقة تفسيرية في المقام الأول.

المبحث الأول: الأسباب المعززة لممارسة السلوك العدواني في التظاهرات:

تتأكد أولوية دراسة السلوك العدواني الفردي والجماعي في التظاهرات من كونه مهدداً للأمن المجتمعي على مستوى العالم؛ ومن البديهي أن تبدأ دراسة هذا الموضوع البحثي المهم بالكشف عن الأسباب التي تؤدي إلى ظهوره أو اختفائه للتحكم فيه.

المطلب الأول: الأسباب الذاتية المعززة للسلوك العدواني عند التظاهر:

يتفات المتظاهرون من حيث الوعي والعفوية فكثير منهم مجرد كتل متحركة منقادة إلى عمل دون أن تشعر بالدافع إليه؛ فتأثير المجموع العصبي في أفعالها أكبر جداً من تأثير المخ، وقد تكون الأفعال التي تصدر عنها كاملة من حيث التنفيذ إلا أن العقل لم يكن رائداً فيها، ولذلك يلازم التظاهرات الانفلات الأمني - رغم سلميَّتها المعلنة - نتيجة عدم الوعي؛ فالممارسات السلوكية في التظاهرات لا تنفصل عن الوعي السياسي لدى مجموع المتظاهرين، كما لا تنفصل أيضاً عن أخلاقية القادة الذين يصدرون الأوامر ويتم تنصيبهم للوصاية على المتظاهرين وتوجيه مسارات التظاهر؛ فمن حيث المبدأ "يمكن أن

يكون السلوك العدواني راجعاً إلى عدم اكتمال النضج العقلي والانفعالي لدى من يأتي بهذا السلوك" [7].

يرتبط ذلك بالنماذج السلوكية التي تنتج عن "الحياة اللا واعية" التي لا يدرك الفرد فيها مسؤولياته؛ حيث تمثل اللا مبالاة سمة أساسية في شخصيته وتصرفاته التي تؤكد في مجموعها أنه يتصرف بشكل غير مسئول ولا يعي خطورة الموقف، ويرتبط كذلك بالقصور في إدارة المعلومات الخارجة عن السيطرة في عصر العولمة والانفجار المعرفي؛ فـ"الوعي المعلوماتي" و"الأمن الفكري" مهمان، وفي المقابل فإن "التصلب الفكري" الذي يشير في علم النفس الى عدم قدرة الفرد على تغيير أفعاله واتجاهاته عندما تتطلب الشروط الموضوعية ذلك، و"الجمود الفكري" الذي يتضمن تنفيذ التعليمات بشكل حرفي [8]؛ يشكلان مدخلاً مهماً لاستغلال المتظاهرين وتفعيل سلوكهم العدائي أثناء التظاهر من قبل جهات أخرى قد تكون معلومة أو مجهولة الهوية؛ كل ذلك بسبب "قلة الوعي"؛ كسبب ذاتي لممارسة العدوان لدى المتظاهر.

يمكن القول بأن العنف يقود للتنفيس والتفريغ الانفعالي للضغوط[9]، ومما لا شك فيه أن السلوك العدواني هو مظهر سلوكي للتنفيس أو الإسقاط لما يعانيه الفرد من أزمات انفعالية حادة على الآخرين؛ فيميل الفرد في هذه الحالة إلى ممارسة السلوك العدواني، وهذا يشير إلى عدم النضج ووجود خلل في الضبط الداخلي، وبذلك يمكن لضعف القدرة على "الضبط الانفعالي" أن تشكل سبباً ذاتياً يؤدي إلى ممارسة السلوك العدواني في التظاهرات.

---

[7] . محمد علي قطب الهمشري، عدوان الأطفال، (الرياض: العبيكان، ط. 2، 2000)، ص.9.

[8] . تهاني هاشم خليل عابدين، البعد النفسي كمحدد لتجدد جائحة كورونا، في: بصائر نفسانية، العدد 34، أغسطس 2021، تونس، ص.90-91.

[9] . فجر جودة النعيمي، علم النفس الاجتماعي دراسة خفايا الإنسان وقوى المجتمع، (بغداد: دار أوما للنشر والتوزيع، ط. 1، 2016)،ص. 270.

يعتبر العدوان في المقام الأول سلوكاً مقصوداً يستهدف إيقاع الأذى بالغير ويكون الدافع وراءه دافعاً ذاتياً[10]، وهذا السلوك القصدي يمكن أن يأتي نتيجة التعرض لخبرات سيئة في الماضي أو الكبت المستمر والفشل والإحباط ونوبات الغضب أو الانفجار الانفعالي، كما قد ينتج عن الإدمان وتعاطي الكحول والمخدرات، أو كنتيجة لبعض سمات الشخصية كالميل إلى التشاجر أو للأمراض والاضطرابات النفسية، حيث "يرى علماء النفس أن بعض حالات السلوك العدواني ترجع إلى أسباب تتصل بالأمراض والاضطرابات النفسية"[11].

توجد مجموعة كبيرة من الأسباب ذاتية المنشأ والتي تعزز السلوك العدائي للمتظاهر؛ كالأسباب المرتبطة بالطمع الذي يعمي بصيرة الفرد ويدفعه للقيام بأي شئ مقابل تحقيق المطامع، إضافة إلى الفهم الخاطئ للحقوق كالحق في الحرية وحرية التعبير أو للشعارات كالديمقراطية، وكذلك شخصنة الأفعال وردود الأفعال أثناء التظاهر والانتقام للذات، فضلاً عن سوء النوايا والإدراك الخاطئ للأمور، والتجني الذاتي الذي يقوده إلى الشعور بأنه ضحية وأن حقوقه منهوبة فيميل إلى العدوان لاستردادها دون إدراك لعواقب ذلك السلوك وانعكاساته على الأمن العام، وكذلك عدم إدراك مفهوم المسؤولية المجتمعية أو ضبط السلوك أثناء التظاهر.

تظهر أسباب ذاتية للسلوك العدواني في التظاهرات كنتيجة مباشرة لأزمة الضمير وضعف مستوى التدين والأخلاق والقيم؛ فهذه جميعها تعمل كمعايير عقلية ووجدانية لضبط السلوك، وتستند إلى مرجعية حضارية تمكن صاحبها من الاختيار بإرادة حرة واعية نشاطاً إنسانياً يتسق فيه الفكر والقول والفعل مع تلك المعايير، ومن ثم فإن أي

[10] . محمد علي قطب الهمشري، عدوان الأطفال، (الرياض: العبيكان، ط. 2، 2000)، ص.8.

[11] . نفس المرجع، ص. 15.

خلل في امتلاك الفرد لتلك المعايير يقود إلى خلل فكري وانفعالي وسلكوي، وهذا الخلل هو ما يدعم ظهور السلوكيات العدوانية الشاذة في التظاهرات.

تتعدد العوامل الذاتية المسببة للعدوان أثناء التظاهر؛ كالرغبة في التحرر من السلطة الضاغطة والحصول على ممنوعات يصعب قبولها أو تحقيقها، فضلاً عن الانفعالات والصراعات المكبوتة، وفقد الشعور بالأمان والإحساس بالنبذ أو الغيرة وافتقاد الثقة بالنفس والحرمان[12]، إضافة إلى التعصب وهو ميل انفعالي يكون فيه الحكم بالتفضيل أو عدم التفضيل سابقاً على وجود دليل منطقي مناسب ويقوم على قوالب نمطية وتصورات جامدة رغم عدم منطقيتها[13].

يأخذ العدوان الصريح أشكالاً ظاهرة تتمثل في الاعتداء البدني واللفظي أو التخريب والعناد ومخالفة الأوامر والعصيان والمقاومة، ويمكن تسمية نوع آخر من السلوك العدواني يتمثل في "العدوان تجاه الذات"؛ فالسلوك العدواني لا يتجه بالضرورة نحو الغير فقط، فقد يتجه نحو الذات أيضاً [14]، واستناداً إلى هذه الحقائق تكون "الميول الانتحارية" و"الدوافع الإرهابية" سبباً معتمداً ضمن الأسباب الذاتية للسلوك العدواني في التظاهرات، وفيها يوجه الفرد العدوان نحو ذاته وليس الآخرين، ولا شك في أن السلوك العدواني في كافة أشكاله ومستوياته يعتبر مهدداً أمنياً بالغ الخطورة.

المطلب الثاني: الأسباب الاجتماعية المعززة للسلوك العدواني عند التظاهر:

بينما يتفق العلماء على أن انفعال الغضب هو من النوازع الفطرية لدى الإنسان؛ فإن العدوان - باعتباره النزوع المعبر عن انفعال الغضب - ربما كان في قدر كبير منه سلوكاً

[12] . محمد علي الهمشري، المرجع السابق، ص. 41 - 42.

[13] . تهاني هاشم خليل عابدين، الإيحاءات المُدركة،كتاب قيد النشر تحت رقم التسجيل (8 ت - 2012 - 12 ك)، ص. 13.

[14] . محمد علي الهمشري، مرجع سابق، ص. 25.

متعلماً ومكتسباً[15]، وربما من غير المتوقع التأكيد على أن تعرض المتظاهرين للتعذيب وسوء المعاملة والخطف والاختفاء والاعتقال التعسفي وقمع التعبير علناً عن الإحباط، والتي تأتي كضوابط لممارسة الحريات وأخذ الحقوق من خلال التظاهر؛ للحد من انتشار الفوضى التي تنتج عن إتاحة الحرية المطلقة؛ إن جميع تلك الممارسات التي تصدر عن الجهات الأمنية لتأمين التظاهرات مقرونةً بانعدام الشفافية الذي أدى إلى عدم توفر الثقة؛ يقود إلى تحول مسار التظاهرات من مسارها السلمي إلى إظهار ردود أفعال أكثر عدوانية، وجدير بالذكر أن "التعرض للعدوان يجعل الفرد أكثر ميلاً للسلوك العدواني"[16].

وفي المقابل فإن "إزالة التثبيط" كظاهرة اجتماعية إدراكية غالباً ما تقود للعدوان؛ حتى لو كانت ردود الفعل العدوانية ليست من الخصائص الشخصية للقائم بالعدوان؛ حيث تشير إزالة التثبيط إلى أي طريقة من طرق إضعاف القوى الاجتماعية التي تحول بين الفرد وبين ممارسة السلوك العدواني؛ إن هذا السلوك يطلق عليه "المعية" التي تستلزم وجود مؤثرات موقفية تؤثر على القائم بالعدوان، مثل حضور الآخرين الذي يكون فيه الاستدراج عن طريق الجمهور؛ حيث يستثار الفرد عندما يفقد الروادع الاجتماعية لينخرط في سلوك عدواني يؤدي إلى ضحايا وتخريب[17].

يهدف التسلط الذي تمارسه السلطات إلى جعل الشعب طائعاً طاعة عمياء وغير مدرك لما يحيط به حتى تتمكن تلك السلطات من قيادته بكل سهولة؛ كل ذلك أدى إلى تحويل المجتمع إلى ملك شاغر يمكن لأي جهة أن تتلاعب به كيفما تشاء؛ إن النتيجة

---

[15] . نفس المرجع، ،ص. 14.

[16] . نفس المرجع، ص. 27.

[17] . فجر جودة النعيمي، علم النفس الاجتماعي دراسة خفايا الإنسان وقوى المجتمع، (بغداد: دار أوما للنشر والتوزيع، ط. 1، 2016)،ص. 256 - 257.

النهائية لمسار ذلك التسلط هو تحول المجتمع إلى مجتمع لا يخضع لأي قانون، ويمكن لأيٍّ كان أن يسيِّره في الاتجاه الذي يريده، وهو أيضاً ما يسبب الفشل في محاولات التحكم في التظاهرات وتهدئتها بدون خسائر كبيرة؛ بحيث لم يعد للمجتمع القابلية لاستقبال رسائل التهدئة من أي جهة، بالإضافة إلى الإعلام الذي يقوي عوامل العدوى النفسية السالبة؛ إنه يضعف عوامل التهدئة ويستثمر في حالة الشك القائمة بين الشعوب والحكومات من أجل تسويق مادة إعلامية تساهم بشكل مباشر في زيادة السلوك العدواني وسط المتظاهرين.

يعمل القهر باعتباره من تلك العوامل اللصيقة التي تجبر الإنسان على ما لا يرغبه أو تحول دونه وما يرغبه؛ وهذا مايؤدي الى الدوافع العدوانية التي تأتي لتجاوز حالات القهر، ويلاحظ أن للقهر أصداء لغوية ونفسية عديدة؛ فيُفهم أحياناً بمعنى الإحباط وأحياناً يشير إلى الحالة النفسية التي تتسم بالعجز واليأس، وفي الخلفيات السياسية والعسكرية للقهر مردودات أخرى؛ مثل القهر السياسي المرادف للديكتاتورية أو القهر العسكري المرادف للاستعمار التقليدي المنطوي على الذل والاستعباد؛ باعتبار أن حالة سكون الشعب يفرضها القهر والاستبداد وتظهر في الطاعة والخضوع؛ أما حالة التظاهر (الاحتجاج) فتظهر في عدة أوجه أشهرها العصيان والثورة والتمرُّد، ويكون ذلك حين يبلغ الصبر أشدَّه والتحمُّل أقصاه.

يؤكد (سكينر) أن "الكفاح من أجل الحرية" مُوَجَّه في الدرجة الأولى ضد المتحكمين المتعمِّدين ممن يعاملون الآخرين بشكل بغيض من أجل دفعهم إلى السلوك بأساليب معينة، وهكذا قد يُسقِط المواطن حكومته، ومن الواضح تماماً أن الكثير من الوسائل التي يهاجِم بها الناس قوة المتحكمين المتعمدين فيُضعفونها ويُدمرونها هي وسائل مكتسبة بالتعلم؛ إن كفاح الإنسان في سبيل الحرية ليس ناجماً عن إرادة الحرية أو عن رغبة في التحرر؛ بل يعود إلى بعض العمليات السلوكية الخاصة بالكائن البشري والتي من أهم

نتائجها تجنب ما يُعرف بالملامح البغيضة في المحيط أو النجاة منها والكفاح في سبيل الحرية، ومن جانب آخر يتناول "الكفاح من أجل الكرامة" والذي له ملامح كثيرة مشتركة مع الكفاح في سبيل الحرية؛ فحينما يُحرَم الناس من التقدير فإنهم يستجيبون بطرق تتفق مع هذا الحرمان؛ فإما أن يهربوا من أولئك الذين يحرمونهم، أو يُهاجمونهم بقصد إضعاف فعاليتهم، والجدير بالذكر أنه على شاكلة أدب الحرية ليس معنياً بالهروب؛ بل يُركز عوضاً عن ذلك على إضعاف من يحرمون الآخرين من التقدير.

تفسر "نظرية الاستفزاز المباشر" جزءاً كبيراً من ردود الفعل العدوانية للمتظاهرين؛ حيث إن الفرد يتصرف بعدوانية إذا تعرض للاستفزاز المباشر، وقد أكدت التجارب المختبرية أن ذلك يشمل الاستفزاز البدني واللفظي أيضاً، وفوق هذا فإن الاستفزاز يمكن أن يتصاعد بسرعة ليتحول إلى معركة شرسة كما يحدث أحياناً في التظاهرات، وهذا يعني أننا نعمل بمبدأ التبادلية؛ أي أننا نرد على الاستفزاز بعنف بدلاً من أن نتنازل بإظهار استجابة بديلة كإهمال الاستفزاز أو تجاهله[18].

برزت مجموعة كبيرة من النماذج النظرية التي تفسر السلوك العدواني بإرجاعه إلى أسباب اجتماعية، حيث إن "علماء النفس الاجتماعي لا يفضلون تعريف العدوان على أساس الغريزة أو الفطرة، ولكنهم يفضلون بدلاً من ذلك التفسير القائم على عملية التعلم وعلى السياق الاجتماعي الذي له علاقة بالسلوك العدواني"، ومنها نظرية "الإحباط والعدوان" التي تعطي تفسيراً مبسطاً للعدوان وتمتلك أهمية عالية في تفسير السلوك العدواني[19]، ويرى (كونجر) أن الأفراد الذين تكثر مواجهتهم للإحباط تنشأ عندهم دوافع واستجابات عدوانية قوية، كما يؤكد (ستور) أن الإنسان ليس عدائياً بطبعه ولكنه يصبح عدوانياً نتيجة االإحباط، "وكثير من العلماء يتفقون على أن الإنسان ليس عدوانياً

[18] . فجر جودة النعيمي، علم النفس الاجتماعي دراسة خفايا الإنسان وقوى المجتمع، (بغداد: دار أوما للنشر والتوزيع، ط. 1، 2016)،ص. 255.

[19] . نفس المرجع، ص. 243.

بطبعه، وإنما يصبح عدوانياً نتيجة لما يتعرض له من مواقف الإحباط؛ باعتبار أن العدوان وظيفة من وظائف الذات تظهر بتأثير الإحباط، وأن الميول العدوانية لا تخرج الى نطاق السلوك والأداء إلا بتدخل من البيئة أساسه الإحباط"[20].

يمكن تفسير السلوك العدواني للمتظاهرين عبر نظرية "العدوانية المزاحة"؛ ففي مواقف عديدة لا يستطيع الفرد المحبط التعبير عن عدوانيته ضد المصدر الحقيقي للإحباط؛ لكونه مبهم أو غير ملموس أو أنه يمتلك قوة قاهرة بحيث تصبح مهاجمته خطراً جسيماً، وعندما تحول الظروف - أياً كانت - دون قدرة الفرد على مهاجمة المسبب للإحباط؛ فإن العدوان سوف يتحول أو يستبدل ومن ثم يوجه نحو شخص برئ كبديل للمسبب الحقيقي للإحباط"[21]، وبناءً على هذا النموذج في تفسير السلوك العدواني فقد صنف السلوك العدواني إلى عدوان مباشر يوجه إلى الشخص الذي تسبب في غضب المعتدي وعدوان غير مباشر يتضمن الاعتداء على شخص بديل.

أثبتت الدراسات مختبرياً أن "مشاهدة العنف" في الأفلام أو العنف الموجود فى الواقع الحقيقي؛ تقود إلى تقليد السلوك العدواني؛ حيث تستثار المشاعر العدوانية التي تدفع الفرد إلى التصرف العنيف من خلال تعلم أساليب العنف ورفع مستوى الاستثارة العدوانية أو من خلال إزالة التحسس من العنف وتقليل التحفظ من الفعل العدواني وإعطاء الفرد رؤية منحرفة للحلول التي يحققها العنف[22]؛ باعتبار أن السلوك العدواني سلوكاً متعلماً ينتج عن تقليد النماذج التي يراها الفرد في واقعه الاجتماعي أو الافتراضي؛ حيث "تؤدي مشاهدة أفلام العنف إلى زيادة مختلف صور العدوان البدني واللفظي، مع زيادة أو نقص في درجة الشبه بين السلوك الذي يظهر على المشاهدين والسلوك الذي تم

[20] . محمد علي الهمشري، مرجع سابق، ص. 14.

[21] . فجر جودة النعيمي، مرجع سابق، ص. 245.

[22] . نفس المرجع ،ص. 250.

عرضه في مشاهد تلك الأفلام، وقد لوحظ أن الأشخاص الذين عرضت عليهم مشاهد عنف كانوا أشد عنفاً وعدوانية ممن شاهدوا أفلاماً لا تتضمن مشاهد عنف؛ وثبت أن الأفراد الذين لديهم استعداد للعدوان هم الأكثر تأثراً"[23].

المبحث الثاني: الديناميكية التي ينشأ بها السلوك العدواني في التظاهرات:

يشكل موضوع "الصراع الاجتماعي" مجالاً ثرياً للبحث قديماً وحديثاً؛ فقد تعددت التفسيرات والتحليلات حول طبيعته وأسباب حدوثه ومظاهره ونتائجه، حيث يشير الصراع الاجتماعي إلى العملية الاجتماعية التي تنشأ بين طرفين أو أكثر يوجد بينهم تعارض في المصالح والأهداف، ويسعى كل منهم لتحقيق مصالحه وأهدافه مستخدماً كافة الوسائل والأساليب سواء أكانت مشروعة أو غير مشروعة؛ فهو في الغالب يأخذ صور الأزمة والتوتر والكفاح العدائي[24].

المطلب الأول: ديناميكية الدوافع النفسية للسلوك العدواني في التظاهرات:

يتفرد السلوك البشري بأنه ميدان بحثي ذو صعوبة خاصة وليس هناك إثارة مشابهة للمشكلات التي يطرحها ذلك السلوك؛ فكيف يمكن للعقل أن يُحرِّك الجسد؟، وبتعبير آخر كيف يمكن لتلك الدوافع الخفية أن تلعب دوراً في إحداث تغييرات مادية في العالم؟، ويمكن التساؤل ها هنا حول كيفية عمل دوافع السلوك العدواني لدى الجماهير في التظاهرات؟.

يتفق علماء النفس على أن السلوك البشري يعتبر سلوكاً دافعياً لأنه هادف دائماً ولا يوجد سلوك عشوائي، فكل سلوك ينطلق من سبب ما ويسعى نحو تحقيق هدف،

---

[23] . محمد علي الهمشري، عدوان الأطفال، (الرياض: العبيكان، ط. 2، 2000)مرجع سابق،ص. 40.

[24] . زيات فيصل ومخطار ديدوش محمد، نظرية الصراع الاجتماعي من منطقكارل ماكس إلى منطق داهرندوف، في: دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، المجلد 2، العدد 1، مارس 2019، الجزائر، 382 - 384.

فالسلوك دائماً مُوَجَّه نحو إشباع الدوافع وتحقيقها، وتكمن أهمية دراسة الدوافع في معرفة الأسباب الأساسية وراء العديد من أنماط السلوك البشري، كما أن دوافع البشر تُحرِّك وتوجِّه تصرفاتهم لكي يكافحوا للوصول لأهداف معينة ترضي احتياجاتهم النفسية الأساسية وتمارس كفاءاتهم وقدراتهم بطريقة تحقق لهم ذواتهم؛ لتتمثل الدوافع في كل ما يُحرِّك السلوك البشري ويدفعه نحو هدف محدد؛ بحيث تعمل على تحريك السلوك واستمراره وتوجيهه نحو غايته، ويُعد الدافع شكلاً من أشكال الاستثارة المُلِحَّة التي تخلق نوعاً من النشاط أو الفعالية لخفض حالة التوتر عند الفرد وتخليصه من حالة عدم التوازن إلى وضع التوازن، و الدوافع ذات أثر واضح على سلوك الفرد وتفاعله مع الآخرين؛ حتى أصبحت تُعطى لها الأولوية في التأثير على نوعية ودرجة التفاعل الاجتماعي، وعند تحليل السلوك العدواني في التظاهرات باستخدام لغة علم النفس يكون من البديهي البدء بالتعرُّف على الدوافع المُحرِّكة له والمرتبطة بصيرورته.

يأتي السلوك البشري نتيجة للدوافع الداخلية التي تدفع من الداخل أو الدوافع الخارجية التي تجتذِب من الخارج؛ فالاستجابات الإرادية تتطلب وجود دافع، وفي غياب هذا الدافع لا تحدث الاستجابة الإرادية، فهناك أحد أمرين أولهما أن يقوم الفرد باستجابات إرادية والثاني أن لا يفعل شيئاً على الإطلاق، ولحدوث الاستجابة الإرادية لا بد من وجود دافع على صورة توقُّع بأن الاستجابة ستكون فعالة، وفي غياب مثل هذا التوقع فإن الاستجابة لن تحدث، وعندما يتوقع الفرد أنه لا يستطيع فعل شئ يصبح عاجزاً ويفشل بالمبادرة بأي سلوك.

يمكن التأكيد على أن دافع الإنسان للتغيير سيستمر، ولكننا لا نستطيع تحديد اتجاه ذلك التغيير، ولا شك في أنه من الخطأ كبت دوافع السلوك العدواني باعتبارها من الدوافع السلبية التي تهدف لتحقيق ذلك التغيير؛ فالدوافع على اختلافها تعتبر محركاً أساسياً للإنسان، وليس المطلوب القضاء على الدوافع والغرائز بكبتها بل لا بد من

ضبطها، حيث إن الدوافع ذات طبيعة مزدوجة بمعنى أنها يمكن أن تكون وسيلة لارتقاء الإنسان أو تكون سبباً في ضياعه، وبناءً على تلك المعطيات تبرز أهمية تحليل السلوك العدواني للمتظاهرين للتعرف على أسبابه وضبطها للتحكم في سلوك المتظاهرين بما يحقق المآلات المرغوبة للتظاهرات وينهي انعكاساتها المهددة للأمن المجتمعي مستقبلاً.

تحتاج مجموعة تساؤلات طرحها (كويليام) إلى إجابات محددة حتى تتحدد معالم التفسير العلمي للسلوك العدواني في التظاهرات والدوافع التي ينشأ عنها؛ أهمها: هل نحن مدفوعون أكثر بالأهداف أم بالمشكلات؟ هل نتأثر أكثر بالترغيب أم الترهيب؟ هل نحن محفزون إيجابياً أم سلبياً؟، يمكن التأكيد على أن "اتجاه الدافع" يُصنِّف الأفراد إلى نوعين؛ الأول يحتكم إلى دافع الرغبة ولا يتحرك إلا نحو ما يحقق عنده رغبة ما أو يوصله إلى نتيجة مرجوَّة، وهو يشعر بالتحفيز تجاه الإنجاز والكسب ولديه القدرة على ترتيب وتنظيم أولوياته ورغباته وفق قدرتها على إشباع رغبة الإنجاز، أما الثاني فيكون الدافع عنده الرهبة؛ فهو لا يتحرك إلا بعيداً عما يخشاه، وهو يشعر بالتحفُّز مخافة الفشل أو الإخفاق أو الأذى أو الألم ولديه قدرة على العمل بوعي وتركيز لتفادي ما يجب أن يتجنبه، وفي الغالب يجد صعوبة في تحديد أهدافه وأولوياته ورغباته، ويخاف العقوبة أكثر من رغبته في الثواب، وتبعاً لتلك الرؤية يمكن استنتاج أن دافع السلوك العدواني للتظاهرات هو دافع إيجابي يكافح من أجل تحقيق أهداف وطموحات محددة؛ حيث أن الدافع الكامن وراء العدوان إذا كان دافعاً سلبياً لما ظهر من الأساس خوفاً من السلطة.

يمكن إرجاع جزء من السلوك العدواني في التظاهرات إلى الدوافع المرتبطة بسلوك بث الشائعات التي تضلل المتظاهرين وتغير مسار التظاهرات إلى اتجاهات مُعاكِسة؛ فمن مصادر بث الشائعات "الذات الفردية" و"الذات الجماعية"؛ حيث إن سلوكنا كأفراد أو جماعات تحركه دوافع وحاجات روحية وفسيولوجية ونفسية واجتماعية؛ لتحقيق أهداف وغايات منها المقبول ومنها غير المقبول، وسلوكنا الغائي لا يخلو من التمويه

والتحريف من خلال الشائعة وصولاً إلى ما يُشبِع حاجة أو يُرضي دافع، ومضمون هذا أن الأنا والنحن من مصادر إطلاق الشائعات وليس الآخرون من الأعداء فقط.

يرتبط السلوك العدواني لبعض المتظاهرين بـ"الدوافع المرضية"، ومنها ما يرتبط بـ"دوافع السلوك السيكوباتي" والذي يتصف بالانحراف الاجتماعي والخروج عن القوانين والمعايير الخلقية، والاستهتار والتهرُّب من تحمل المسئولية، وقد لا يُنكر أحد ممن عايش إحدى التظاهرات وجود ذلك السلوك السيكوباتي بشكل متزامن معها؛ حيث إن "السلوك السيكوباتي" يأتي عابراً وتثيره مواقف محددة على خلاف "الشخصية السيكوباتية" التي تتمثل تلك السلوكيات كسمات شخصية لها، ويلاحظ أن السلوك العدواني الناتج عن دوافع السلوك السيكوباتي الذي يتصف بالانحراف الاجتماعي والخروج عن القوانين والمعايير الخلقية؛ يبرر لتزامن التظاهرات السلمية مع مظاهر الانفلات الأمني - رغم سِلمِيَّتها - وهو ما يمنعها من التوجُّه في المسار السلمي المرسوم لها.

للتعرف على دوافع السلوك العدواني لدى المتظاهرين لا بد من التمييز أولاً بين نوعين من الدوافع حسب مصدر استثارتها؛ الدافع الداخلي (Intrinsic Motivation) الذي يكون مصدره الفرد نفسه بحيث يكون مدفوعاً برغبة داخلية لإرضاء ذاته، والدافع الخارجي (Extrinsic Motivation) وفيه يكون مصدر الاستثارة خارجي، وربما يكون من المنطقي القول بأن دوافع السلوك العدواني في التظاهرات تستثيرها مصادر خارجية تعمل وفق آليات متعددة؛ منها ما يتشكل بشكل واعي (التقليد) وآخر بشكل غير واعي (التأثر)؛ حيث تُوجد فروق جوهرية بين سيكولوجية التقليد وسيكولوجية التأثر باعتبارهما من أهم الآليات الخارجية المثيرة لدوافع السلوك البشري؛ باعتبار أن التأثر تقليد لا واعي والتقليد تأثر واعي.

يمكن القول بأن دوافع السلوك العدواني للمتظاهرين يتضمن "دوافع مُهيِّئة" تتعايش معها الشعوب على أمل أن تتبدَّل الأحوال إلى الأفضل، و"دوافع مؤكِدة" تفجر

ذلك السلوك العدواني الجمعي بشكل خارج عن السيطرة، وهذا ما تُعبِّر عنه نظرية "الحرمان النسبي" لرانسيمان وجور (Runciman 1966 & Gurr 1970)، حيث يُعرِّف جور (Gurr) الحرمان النسبي بأنه التعارض بين توقعات الأفراد عن شروط الحياة التي يعتقدون أنهم يستحقونها وبين قدرات بيئتهم الاجتماعية، أو بألفاظ أخرى هو التفاوت السلبي بين التوقع المشروع والواقع المُحبِط لأفراد المجتمع؛ فهو موقف يواجهون فيه عوائق مادية أو نفسية تحول دون حصولهم على قيم معينة أو احتفاظهم بها؛ مع وعيهم بالقوى الكامنة وراء ذلك؛ ما يدفعهم للجوء إلى العنف لتجاوز الموقف، وبذلك ينشأ الحرمان النسبي من إدراك التعارض بين ما يمتلكه الفرد وما يعتقد أنه يستحقه، ومن خلال هذه النظرية يمكن تحليل الدوافع المهيئة للعدوان في التظاهرات.

يمكن وصف أحد المصادر التي تنشأ منها دوافع السلوك العدواني بالتطرُّق إلى "الحرب النفسية" والتي تستهدف التأثير على الرأي العام وتستخدم مجموعة أدوات للوصول إلى ذلك، ومن أهم خصائص الحرب النفسية أنها تركز على القوة المعنوية والإرادة والتوجُّه، كما أنها ترتكز على دراسة شاملة للمستهدَفين وعلى استغلال مشاعرهم ودوافعهم؛ فالحرب النفسية هي حرب لتغيير السلوك وميدانها هو الشخصية وأسلحتها هي الكلمات والأفكار والإشاعات[25].

تعتبر "البرامج العقلية" نظم التشغيل للعقل البشري وهي التي تفسر اختلاف طباع الناس في استقبال ما يقدم لهم من حيث القبول أو الرفض ونوع التفاعل الذي يُبدونه في التعبير عن ذلك القبول أو الرفض، وبفهم هذه البرامج ودراستها يمكن التعرف على الأنماط المختلفة للشخصية الطبيعية[26]، ويمكن بذلك أن نتقبل الاختلاف في طبائع

[25] . تهاني هاشم خليل عابدين، الإيحاءات المُدركة،كتاب قيد النشر تحت رقم التسجيل (8 ت - 2012 - 12 ك)، ص. 11-12.

[26] . عبد الرحيم محمد بابكر، بناء الأمة "دور البرمجة اللغوية العصبية في صناعة الحياة"، (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، ط. 1،2007)، ص. 28.

البشر على أنه أمر طبيعي، ونحدد بعدئذ بصورة علمية كيف نتعامل مع هذا الاختلاف ونوظفه التوظيف الإيجابي، وهذه مسألة غاية في الأهمية عند الحديث عن بناء الدوافع وتعديلها لتحقيق متطلبات الالتزام بالسلمية في ممارسة حق التظاهر السلمي مستقبلاً.

المطلب الثاني: ديناميكية التظاهر كتجربة سيكولوجية محفزة للسلوك العدواني:

تتفاعل العوامل الشخصية والموقفية (Personal & Situational Factors) عند اتخاذ الفرد قرار القيام بسلوك محدد وتنفيذ ذلك القرار؛ حيث إن التفاعل بين الشخصية والموقف هو الذي يحدد بالضبط كيف يتصرف الفرد[27]، وفي سياق متصل يمثل "قرار الاقتحام" أهم القرارات التي تخلص الفرد من خوفه من مصدر السُّلطة، وقد تأكد أن الجماعات المحرومة هي الأكثر ميلاً لممارسة السلوك العدواني عند التظاهر؛ "إن الجماعات المحرومة لا ترى فقط أنها محرومة قياساً بآخرين داخل المجتمع المحلي، ولكن فرص التحسن في ظروفها ضعيفة جداً، وفي هذا السياق إذا كانت الآمال بالتحسن لا يمكن تحقيقها شرعياً فإن الشخص المحروم أو الجماعة المحرومة قد تتصرف عدوانياً"[28].

تُحدِّد (سيكولوجية الجماهير) ديناميكية الموقف بالنسبة للسلوك العدواني باعتباره أخطر السلوكيات في التظاهرات؛ بحيث يمكن أن يحدُث السلوك العدواني نتيجة لإيحاء سلوك أفراد الجمهرة للمعتدي بأن العدوان قرار صائب وأنه يمثل الطريقة الفعالة للحصول على الحقوق، فسلوك الآخرين عندما تكون له صفة الانتشار أو الاستمرارية أو الإثنين معاً؛ يُعطي إيحاء للفرد بأنه سلوك صحيح وطبيعي حتى وإن لم يكن كذلك بل حتى وإن كان على النقيض من ذلك تماماً، ولكن لابد من الإشارة هنا إلى أن درجة

[27] . فجر جودة النعيمي، مرجع سابق، ص. 251.

[28] . نفس المرجع ،ص. 258.

التأثر بإيحاء سلوك الآخرين تعتمد في المقام الأول على مدى وعي الفرد ومدى قوة إرادته أو ضعفها في الانسياق والخضوع للآخرين[29].

تتكون الجمهرة من حشد كبير نسبياً من الناس يستجيب انفعالياً لمثير مشترك، وتعتبر الاستجابة الانفعالية الحادة أهم الخصائص التي تميز الجمهرة، ويصدر سلوكها عن دافع واحد مشترك يميل دائماً إلى الشدة والعنف، والعاطفة الجارفة حيث أن الواقع القوي الحاد يتصل بعاطفة جارفة وقوة هوجاء تهيمن على أفراد الجمهرة كافة، وبذلك فإن كل سلوك يصدر عن الجمهرة يصطبغ بشحنة انفعالية قوية تسفر عن نفسها في ثورة الأفراد واضطرابهم، نتيجة انفعال حاد يشل القوى الإدراكية فتكون قراراتها هوجاء وقابلة للاستهواء بسهولة تبعاً لضعف روح النقد وانحطاط مستوى التفكير؛ فضلاً عن ضعف الشعور بالمسئولية الفردية، وكل ذلك يصف بعمق ديناميكية السلوك العدواني في التظاهرات.

يؤكد (غوستاف لوبون) أن الفرد عندما ينخرط في جمهور محدد سيتخذ سمات خاصة لم تكن موجودة فيه مُسبقاً، أو ربما كانت موجودة ولكنه لم يكن يجرؤ على التعبير عنها بمثل هذه الصراحة والجرأة والقوة، فتظهر جذور تصرفاتنا العمياء ودوافعنا نتيجة للانخراط في جمهور ما والتحمُّس أشد الحماسة للزعيم؛ فلا نعي ما فعلناه إلا بعد أن نستفيق من الغيبوبة العقلية؛ حيث إن الفرد وسط جماعة الجمهور يسلك سلوكيات استثنائية ما كان ليسلكها لو كان في حالته الفردية الواعية المُتعقِّلة؛ فالتظاهرات تستخدم الصور الموحية والشعارات الهيجة التي بها تمتلك روح الجماهير وتسيطر عليها بدلاً من الأفكار المنطقية والواقعية، كما أن "الجمهور النفسي" يختلف عن التجمُّع العادي أو العفوي للبشر في ساحة عامة مثلاً؛ فالجمهور النفسي يمتلك وحدة ذهنية على عكس تلك التجمُّعات غير المقصودة، وعملية التحريض المستخدمة مع المتظاهرين هي

[29] . تهاني هاشم خليل عابدين، مرجع سابق، ص. 20.

التي تفسر انحلال الأفراد في الجمهور وذوبانهم فيه؛ فالفرد يتحرك بشكل واعي مقصود أما الجمهور فيتحرك بشكل لا واعٍ، والجماهير على اختلافها بحاجة لأن تخضع لقيادة مُحرِّك، وهو لا يقنعها بالمُحاجَّات العقلية والمنطقية وإنما يفرض نفسه بهيبته الشخصية؛ فالجماهير لا تقتنع إلا بالصور الإيحائية والشعارات الحماسية والأوامر المفروضة من جهة عليا؛ فهذه هي لغة الجماهير التي تستجيب لها.

تجدر الإشارة إلى أن المزاج النفسي العام في مرحلة زمنية محددة ينتج عن تراكم مجموعة من الأسباب والعوامل المختلفة في فترة زمنية محددة؛ فيؤثر على نفسية عامة الناس في تلك المرحلة الزمنية المحددة، ويجعلهم مهيئين لقبول فكرة أو مذهب ما يلبي احتياجاتهم ويخاطب تطلعاتهم، ومن هنا تأخذ القيادة فاعليتها في تعزيز السلوك العدواني للمتظاهرين؛ تستخدم القيادات غير الأخلاقية مجموعة من الاستراتيجيات النفسية لتعزيز سلوك العدوان لدى المتظاهرين؛ أهمها "الإيحاء الذي يعتبر أداة مرنة بدرجة كبيرة ضمن أدوات الإقناع؛ حيث تتلاشى معه قدرة الفرد على فهم الأمور ويفقد الثقة في قدرته على اتخاذ القرار الصائب، وهذا ما يجعله مسايراً للقائد"[30]، ومن أكثر أساليب استخدام الإيحاء في الإقناع "حرب المصطلحات"؛ التي تعمل على نشر الأفكار والسلوكيات غير المقبولة في شكل مقبول، وتعتمد على اللعب بالمصطلحات وتمويه دلالاتها بطريقة تجعل الفرد دون وعي منه معتنقاً لها ومدافعاً عنها؛ وتقوم على التمويه وعدم الوضوح وإلغاء العقل وتضليله، وتستغل كافة المداخل الممكنة لتحقيق أهدافها.

تخضع التظاهرات لقيادة مهمتها الأساسية تحريك التظاهر وتحديد توجهاته، وهي التي تتحمل مسئولية دفع المتظاهرين للقيام بسلوك العنف والعدوان من خلال نشر "العدوى النفسية" التي تشجع السلوك العدواني، ويعتبر ما يسمى بـ"الحاضنة السياسية" من الأفكار التي تحاول الأحزاب والجماعات ذات المطامع الخاصة نشرها؛ لاستخدام

[30] . تهاني هاشم خليل عابدين، مرجع سابق، ص. 29.

المتظاهرين في تحقيق أهدافها ومطامعها تلك، وهي بذلك تعطي نفسها حق الوصاية على الآخرين وإقصاء المعارضين، كما تعمل تلك القيادات على إقناع المتظاهرين بممارسة السلوك العدواني كتهديد للسلطات في حال عدم تسليم السلطة للشعب!، ومن ثم تُنصِّب نفسها ممثلاً سياسياً للشعب، وفي هذه الحالة لا يكون السلوك العدواني في التظاهرات عنفاً عشوائياً بل يكون عنفاً مخططاً له.

تعتبر تعبئة الجماهير التي تأتي كرد فعل سريع بمثابة تعبئة غير مدروسة، بينما ترتبط التعبئة المدروسة للجماهير غالباً بالإشاعات وتغييب الحقائق عن الجماهير لتحقيق أهداف ومطامع لأشخاص أو جماعات تستغل المتظاهرين بشكل غير أخلاقي لتحقيق أهداف خاصة؛ وبالرجوع إلى الحقيقة العلمية التي تؤكد على أن تعبئة الأفراد بالدوافع بدرجة شديدة ستؤدي إلى تشتتهم؛ فالدوافع بالنسبة للسلوك هي المُحرِّك الذي يعمل على تعبئة الطاقة (Energizing) لدى الفرد وتحفيزه نحو الهدف، ومن البديهي أن تتناسب الطاقة المبذولة تناسباً طردياً مع قوة الدافع، ومما تجدر الإشارة إليه أن الدوافع عموماً ما هي إلا صورة من صور الاستثارة، ولذلك فإن تعبئة الفرد منها بدرجة شديدة ستؤدي إلى تشتته، ولهذا فإن زيادة الدافع فوق الحد الأمثل يعوق الأداء أكثر مما ييسره، ليكون المستوى المتوسط من الدافع هو أفضل المستويات التي يكون الفرد خلاله على درجة ملائمة من اليقظة والتنبُّه للقيام بالسلوك الهادِف، وبناءً على تلك المعطيات تبرز أهمية التدقيق في مسألة توظيف قوة التعبئة بما يحقق الاستثاره المتوازنة التي تضمن تحقيق الأهداف الأساسية للتظاهر سلمياً.

الخاتمة:

خلص هذا البحث إلى نتيجة عامة تؤكد أن السلوك العدواني للمتظاهرين متعدد الأبعاد ومتشابك الأسباب؛ فهناك أسباب تساهم في تعزيزه على ثلاث مستويات؛ تتحدد في المستوى الذاتي والمستوى الاجتماعي والمستوى الموقفي؛ فمن أهم الأسباب الذاتية قلة

الوعي وعدم القدرة على الضبط الانفعالي وأزمة الضمير وضعف القيم والأخلاق وتدني مستوى التدين وانتشار الاضطرابات النفسية وتعاطي الخمور وإدمان المخدرات، وأبرز الأسباب الاجتماعية تتمثل في تأثير الإيحاء غير الأخلاقي والعدوى الاجتماعية المحفزة للعدوان وانتشار العنف بالدرجة التي جعلت من السلوك العدواني أمراً مألوفاً في تفاصيل الحياة المعاصرة، والأسباب الموقفية تجتمع في تأثر المتظاهر بموقف التظاهر الذي تجسده سيكولوجية الجماهير، وبينما يبدو السبب الظاهري الأكثر وضوحاً في موقف التظاهر وكأنه السبب وراء السلوك العدواني للمتظاهرين؛ إلا أن هناك أسباب أخرى خافية ترجع للدوافع النفسية التي تشكلت لدى المتظاهر ين نتيجة مؤثرات غير محدودة تمتد بامتداد حياة المتظاهر، كما أكدت النتائج أنه كلما زاد عدد الأفراد المشاركين في التظاهر كلما زاد احتمال ظهور السلوك العدواني، وتحقيقاً للأهداف النهائية للبحث يأتي اقتراح إجراء بحوث علمية تفسر ظاهرة السوك العدواني في التظاهرات انطلاقاً من وجهة نظر المتظاهرين أنفسهم لاستكمال المعرفة اللازمة لتفسير السلوك العدواني للمتظاهرين بشكل أكثر عمقاً؛ فالنتائج التي توصل إليها البحث تتحدد بالحدود والمبادئ النظرية لعلم النفس.

قائمة المراجع:

- تهاني هاشم خليل عابدين، أبعاد التهيئة النفسية المعززة لممارسة السلوك الإرهابي، في: **قضايا التطرف والجماعات المسلحة**، العدد 6، نوفمبر 2021، ألمانيا، 72 - 87.
- تهاني هاشم خليل عابدين، البعد النفسي كمحدد لتجدد جائحة كورونا، في: **بصائر نفسانية**، العدد 34، أغسطس 2021، تونس، 86 - 99.
- تهاني هاشم خليل عابدين، **الإيحاءات المُدركة**، كتاب قيد النشر تحت رقم التسجيل (8 ت - 2012 - 12 ك).

- زيات فيصل ومخطار ديدوش محمد، نظرية الصراع الاجتماعي من منطقكارل ماكس إلى منطق داهرندوف، في: **دراسات في علوم الإنسان والمجتمع**، المجلد 2، العدد 1، مارس 2019، الجزائر، 382 - 392.
- عبد الباقي دفع الله أحمد، **علم النفس أسسه مبادؤه نظرياته**، (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، ط.2 ،2011).
- عبد الرحيم محمد بابكر، **بناء الأمة "دور البرمجة اللغوية العصبية في صناعة الحياة"**، (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، ط. 1،2007).
- فجر جودة النعيمي، **علم النفس الاجتماعي دراسة خفايا الإنسان وقوى المجتمع**، (بغداد: دار أوما للنشر والتوزيع، ط. 1، 2016).
- محمد علي قطب الهمشري، **عدوان الأطفال**، (الرياض: العبيكان، ط. 2، 2000).